ملف

صلاح عبد الصبور... لا تبكنا

لا يحتاج صلاح عبد الصبور (1931-1981) إلى «مناسبة» للعودة إلى تجربته الشعرية الثرية التي تزداد عتاقة كلما مر عليها الزمن. لكن هناك مناسبات عديدة، إذ حملت الدورة الأخيرة من «معرض القاهرة للكتاب» اسمه، ويتنقل المعرض في محافظات مصر المختلفة على مدى عام، ليصبح صاحب «مأساة الحلاج» شخصية العام في مصر.

مهزومٌ يح

القاهرة ـ **محمد شعير**

الكتابة عن شاعر مثل صلاح عبد الصبور صعبة. رغم حياته القصيرة، إلا أنه فتاح سكك كبير في الأدب العربي. وليس من المبالغة القول إنّه أتعب من جاء بعده. لم يستطع كاتب مسرح أن يتجاوز منجزه من المسرح الشعري الذي لم يتعدَ خمس مسرحيات. لا تزال «مأساة الحلاج»، و«مسافر ليل»، و«ليلى والمجنون»، و«بعد أن يموت الملك»، و«الأميرة تنتظر» درراً في المسرح الشعري العربي المعاصر، وكذلك دواوينه الشعرية!

كان صلاح عبد الصبور طفلاً منطوياً، قالت له أمه إنّه لم يعرف البكاء في طفولته، إلا حين كان يطلب حاجة أو يبلل نفسه. كان إذا رفعوه ارتفع، وإذا حطوه انحط. عندما صار صبياً، لم يعرف سوى البكاء، ربما انتقاماً لسنوات صمته. يبكي كلما قرأ قصة عاطفية أو مأساة غرامية، يبكي ليلة من لياليه مع «ماجدولين» في رواية «تحت ظلال العنكبوت». وفي ليلة أخرى، يبكي «سلمى كرامة» في «الأجنحة المتكسرة» لجبران خليل جبران. وفي ليلة ثالثة، يبكي مع عذاب «سيرانو دو بيرجوراك»، أو مع هذا العاشق الضعيف المغمى عليه دائماً: قيس بن الملوح!

فى صباه، تحديداً في العام 1944 كما قال في مذكراته المجهولة التي لم تنشر في أيّ من أعماله، كتب قصيدته الأولى يشكو فيها العالم:

«كرهت الحياة كرهت الحياة
وبعد الحياة كرهت البشر
ويقسو الزمان على العبقري
أهذا جزاء أديب شعر
وشعري يقل وعزمي يذوب
وعمري الثلاث وزدن العشر».

هكذا بدا صلاح عبد الصبور الكتابة، التقت أيامه «في جدائل الشعر وزنارات الخصر» كما يقول بعدما «عاش أعواماً، طولاً وعرضاً، واقعاً ووهماً، وعرف فيها الفقر واليسر، والسجن والحرية، والاخفاق والنجاح، والرحلة والاستقرار، ورهن قلبه عند العيون الخضر تارة، والزرق تارة، والعسليات تارة أخرى والسود مرات ومرات».

في يومه الأول في الجامعة، التقى بها، ولأجل عينيها راح يكتب الشعر. قصيدة كل أسبوع، فقط ليلقيها

لحظة توقف عن كتابة المسرح

أحمد مجاهد

في مقدمة ديوان صلاح عبد الصبور الأول «الناس في بلادي» الصادر عام 1957، أشار بدر الديب إلى الطبيعة الدرامية لقصائده، التي تبلورت من وجهة نظره في المسرحة الدائمة للمواقف والمشاعر، وزيادة الاهتمام بالتفاصيل الجزئية.

كما أنه من السذاجة البالغة اعتقاد أن انتقال عبد الصبور من كتابة القصيدة العمودية إلى شعر التفعيلة، كان مجرد قفزة عروضية في الهواء، بل هو اختيار واع يحاول الفكاك من أسر الغنائية المفرطة للقصيدة العربية باتجاه الفضاء الدرامي الرحب. وقد أتبعها صلاح بالتوسع في استخدام رخص عروضية نادرة في مسرحه، وبخاصة مع بحر المتدارك حرصاً على سرعة تدفق الحوار.

من محاكاة التراجيديا اليونانية إلى الإسهام المتميز في مسرح العبث

أما صلاح عبد الصبور نفسه، فلم يكن قانعاً قط بأن يكون مجرد كاتب مسرحي. يقول في تذييل مسرحيته «مسافر ليل»: «أنا أؤمن أننا - نحن الشعراء الذين نكتب للمسرح- قد أهملنا تقليداً جليلاً، وهو أن نكون كتاباً ومسرحيين في ذات الوقت كما كان أسلافنا منذ إسخيلوس حتى شكسبير. وقد نتج عن تراخينا في أداء واجبنا أن دخل إلى المسرح، ووقف بيننا وبين النص، عديد من الوسطاء أهمهم المخرج». وقد كان صلاح حريصاً على تضييق تلك المساحة التى يتسلل منها الآخرون للتدخل في رؤيته المسرحية عبر الإرشادات المسرحية التفصيلية المطولة والتذييلات وغيرهما.

وكما كانت حدقة صلاح عبد الصبور الشعرية ترنو إلى المسرح منذ ديوانه الأول، فإن معارضته